فلما وعى القاضي قصصهما، وبين خصاصتهما وخصيصهما، أبرز لهما دينارا
من تحت مصلاه، وقال اقطعا به الخصام وافصلاه، فتلقفه الشيخ دون
الحدث، واستخلصه على وجه الجد لا العبث، وقال للحدث نصفه لي بسهم
مبراتي، وسهمك لي عن أرش إزراتي، ولست عن الحق أميل، فقم وخذ الميل، فعرا
الحدث لما حدث اكتئاب، وجم له قلب القاضي، وهيج أسفه على الدينار
الماضي، إلا أنه جبر كسر الفتى وبلباله، بدريهمات نضح بها باله، وقال لهما اجتنبا
المعاملات، وادرءا المخاصمات، ولا تحضراني في المحاكمات، فما عندي كيس الغرامات
فنهضا من عنده فرحين برفده، مفصحين بحمده، والقاضي ما يخبو ضجره مذ نض حجره
ولا ينصل كمده، مذ رشح جلمده، حتى إذا أفاق من غشيته، أقبل على غاشيته
وقال قد أشرب حسي، ونبأني حدسي، أنهما صاحبا دهاء، لا خصما ادعاء، فكيف
السبيل إلى سبرهما، واستنباط سرهما، فقال له نحرير زمرته، وشرارة جمرته
إنه لن يتم استخراج خبئهما إلا بهما، فقفاهما عونا يرجعهما إليه، فلما مثلا بين
يديه، قال لهما اصدقاني سن بكركما، ولكما الأمان من تبعة مكركما، فأحجم الحدث

وأقبل الشيخ وقال، أنا السروجي وهذا ولدي، والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدت يده ولا يدي، في إثرة يوما ولا في فرد، وإنما الدهر المسيء المعتدي
مال بنا حتى غدونا نجتدي، كل ندي الراحة عذب المورد، وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد، بالجد إن أجدى وإما بالدد، لنجتلب الرزق إلى الحظ الصدي
وننفد العمر بعيش أنكد، والموت من بعد لنا بالمرصد، إن لم يفاجي اليوم فاجا في غد
فقال له القاضي لله درك فما أعذب نفثات فيك، وواها لك لولا خداع فيك
وإني لك لمن المنذرين، وعليك من الحذرين، فلا تمارن بعدها الحاكمين
واتق سطوة المتحكمين، فما كل مسيطر يقيل، ولا كل أوان يسمع القيل، فعاهده
الشيخ على اتباع مشورته، والارتداع عن تلبيس صورته، وفصلا عن
حضرته، والختر يلمع من جبهته، قال الحارث بن همام فلم أر أعجب منها في
تصاريف الأسفار، ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة وتعرف بالإسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي
مرح الشباب، وهوى الاكتساب، إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة

Copyright @ King Saud University